ابو الفداء ودوره في تطوير الفكرة الاقليمية

الدكتور كمال عبدالله حسن

جامعة الانبار – كلية الآداب

المقدمة :

لقد حظيت فكرة الاقليم بأهمية كبيرة لدى الجغرافيين القدماء والمحدثين على حد سواء . اذ طرأت عليها تطورات عدة ، وحملت في طياتها تصورات مختلفة . فمنذ عهد الحضارات القديمة ، مروراً بالحضارة الاسلامية ، و عصر بروز الجغرافية الحديثة ، وعهد الاباء الروحيين للجغرافية امثال همبولدت و ريتر ، ومن تبعهم من الجغرافيين الى يومنا هذا . والاقليم يمثل لبنة اساسية وحجر الزاوية في علم الجغرافية . الا ان هذه الاهمية لم تأت من فراغ ، وهذا التطور لم يبنى من قبل نفسه ، بل ساهم به علماء افذاذ ، واساتذة عظام حتى وصل الينا كما هو اليوم . وبحثنا هذا ينصب على دراسة تطور فكرة الاقليم وبيان دور احد الجغرافيين المسلمين في هذا التطور الا وهو الجغرافي العربي ابو الفداء .

مشكلة البحث : يمكن تحديد المشكلة بالتساؤل الاتي : ما مدى مساهمة ابي الفداء في تطوير الفكرة الاقليمية .

فرضية البحث : ان مساهمة ابي الفداء في تطوير الفكرة الاقليمية لا تقل اهميةً عن اكتشاف فكرة الاقليم وبالتالي فأن لأبي الفداء دور كبير في تطوير فكرة الاقليم وتحديده وايصالها لنا بشكلها الحالي.

حدود البحث : يمكن تحديد البحث بالحدود الاتية :-

الحدود المكانية : يتحدد البحث بحدود العالم الاسلامي واقاليمه (مملكة الاسلام). خريطة (١)

الحدود الزمانية : تتمثل الحدود الزمانية بالقرن السابع الهجري – الثالث عشر الميلادي (٧٣٢-٦٧٢هـ) (١٣٣١-١٢٧٣ م).

منهجية البحث : اعتمد البحث المنهج الاستقرائي منهجاً فكرياً له ، كما اعتمد المنهج الاقليمي ليكون منهجاً كتابياً ، والذي كان لموضوع البحث دور كبير في تطويره .

هدف البحث : يهدف البحث الى بيان دور احد رواد الفكر الجغرافي في تطوير الفكرة الاقليمية ، لا كمنهج ولكن كتحديد لمفهوم الاقليم وامكانية تحديده .

اولاً :التعريف بابي الفداء :

هو اسماعيل بن علي بن محمود بن ايوب .[١]ويُكنى بعدة كُنى منها (الملك المؤيد ، عماد الدين ، ابي الفداء) .[٢] ولد في عام (٦٧٢ هـ– ١٢٧٣م).[٣] وقد جاءت ولادته عند كراتشكوفسكي في عام (٧٦٢هـ– ١٢٧٣م) .[٤] ولعله خطأ في الطباعة اثناء الترجمة ، اذ ان العام الميلادي هو نفسه والخطأ هو في العام الهجري فقط . يرتبط نسبه بالمظفر بن شاهنشاه ابن اخ صلاح الدين الايوبي .[٥] ولعل نسبه هذا ، وحكم عائلته لمدينة حما صنعت منه قائداً فذاً فاشترك في عدد من المعارك ، منذ بداية شبابه

١- شاكر خصباك ، في الجغرافية العربية ، ط١، ساعدت جامعة بغداد على طبعه، بغداد ، ١٩٧٥، ص٣٩١.

٢- عبدالرحمن حميدة ، اعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من اثارهم ، ط٤، دار الفكر ، سوريا ، ١٩٩٥ ، ص٥٣٦.

٣- شاكر خصباك ، المصدر السابق ، ص ٣٩١.

٤- اغناطيوس يوليانوفتش كراتشكوفسكي ، تاريخ الادب الجغرافي العربي ، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، ط٢، دار الغرب الاسلامي، لبنان، ١٩٨٧، ص٤٢١.

٥- شاكر خصباك ، كتابات مضيئة في التراث الجغرافي العربي ، ط١، مطبعة دار السلام ، بغداد ، ١٩٧٩،ص٢٢٠.

.[٦]وعلى عادة اهل عصره فأن ابو الفداء نبغ في مجالات عدة ، فما بين الشعر والفروسية والطب والفلك والنبات الى الحنكة العسكرية .[٧] وقد كان محباً للأدب والادباء وواسع العلم والمعرفة .[٨] ونتيجة لهذا فقد ترك لنا مصنفات في التاريخ والجغرافية ، كان على راسها مصنفه في الجغرافية (تقويم البلدان) . والذي يتميز بالأصالة والوضوح ، فتأثر به الجغرافيون اللاحقون وامتد هذا التأثير الى الغرب ، فلم تعرف العصور الوسطى كتاباً يمكن ان يقارن بكتاب ابي الفداء على حد قول الفرنسي رينوالد .[٩] توفي ابو الفداء في حماة سنة (٧٣٢هـ– ١٣٣١م).[١٠]

ثانياً:الحاجة الى الاقليم :

ما ان ظهر كتاب برنارد فار ينوس (الجغرافية الخاصة) الى الوجود عام ١٦٥٠م .[١١] والكتابات عن الاقاليم والجغرافية الاقليمية في تنوع . وهذه الكتابات التي قام بها اساتذة عظام امثال كارل ريتر وفيدال دي لابلاش ومن جاء بعدهم ، اختلفت في طريقة تناول الاقليم وبيان اهميته وموقعه من الجغرافية .[١٢] وهي كتابات وضعت حجر

٦- علي عبدالله الدفاع ، رواد علم الجغرافية في الحضارة العربية الاسلامية ، ط٢، مكتبة التوبة ، المملكة العربية السعودية ، ١٩٩٣،ص١٩٧.

٧- اغناطيوس يوليانوفتش كراتشكوفسكي ، تاريخ الادب الجغرافي العربي ، المصدر السابق ، ص٤٢٣.

٨ - ابراهيم احمد سعيد وممدوح شعبان دبس ، تطور الفكر الجغرافي ، منشورات جامعة دمشق ، ٢٠١٠،ص٢٤٦.

٩- خالد حربي ، الجغرافيا في الحضارة الاسلامية الدور والتاريخ ، مجلة الرافد ، دائرة الثقافة والاعلام ، الشارقة . منشور على الانترنت .

١٠- اغناطيوس يوليانوفتش كراتشكوفسكي ، تاريخ الادب الجغرافي العربي ، مصدر سابق ، ص٤٢٢.

١١- R.E. Dickinson , Regional Concept , The Anglo-America Leaders ,Routledge and KeganPaul, London , 1976,P.151 .

١٢- ريتشارد هارتشورن ، طبيعة الجغرافية ، ترجمة شاكر خصباك ، ط١١، ج٢، مطابع جامعة الموصل ، ١٩٧٦ ، ص٥-٥٥.

خريطة (١)

مملكة الاسلام في القرن الرابع الهجري

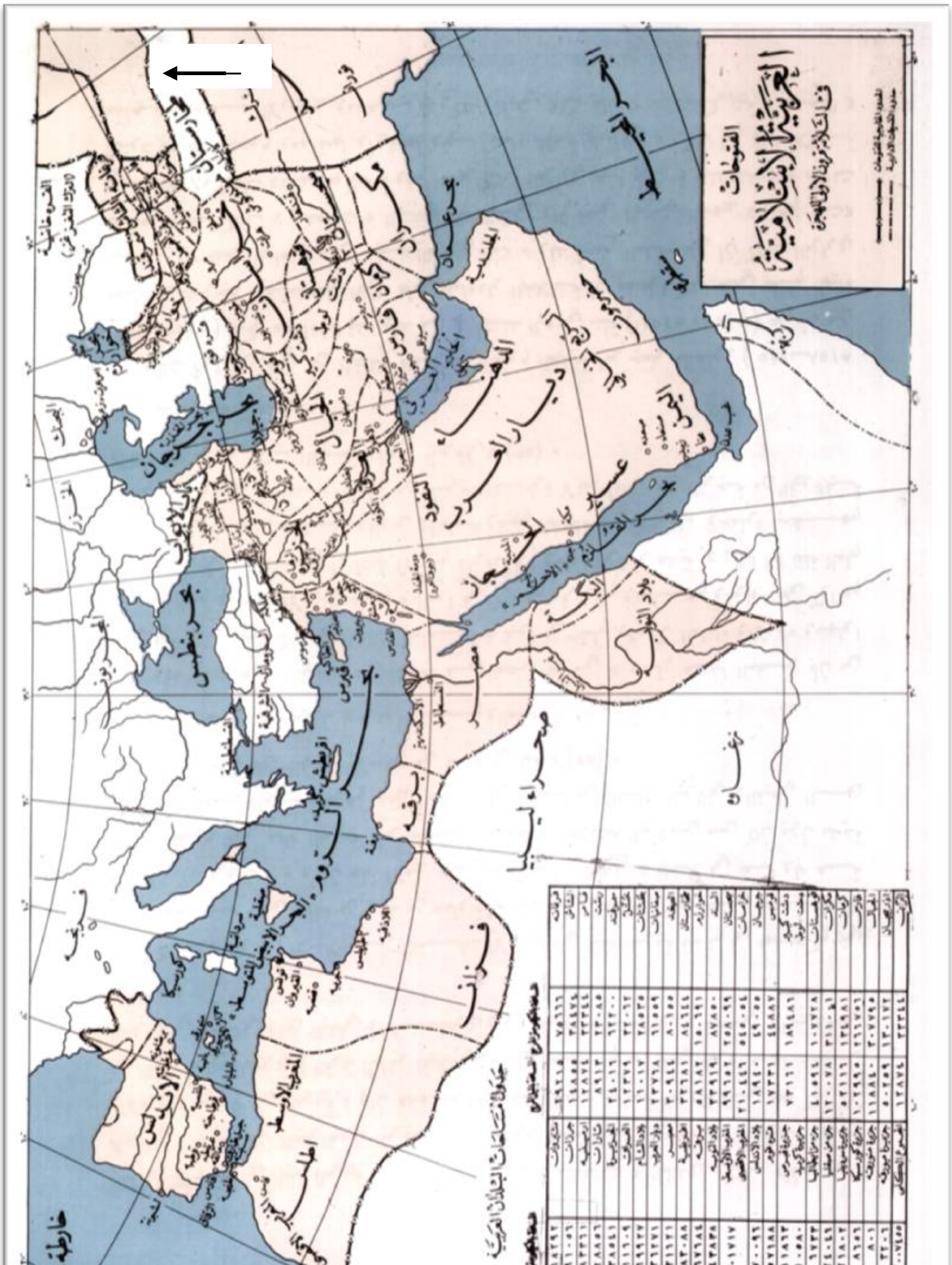

المصدر : احمد سوسة، الشريف الادريسي في الجغرافية العربية ، ج١، نقابة المهندسين العراقيين ، مكتبة صبري ، بغداد، ١٩٧٤، ص١٠

للجغرافية الاقليمية الحالية . وتعنى الجغرافية الاقليمية عناية خاصة بالربط بين الظاهرات الجغرافية المختلفة (طبيعية واحيائية و اجتماعية) لإبراز العلاقات المركبة بين البيئة والانسان في المكان الواحد، اي الاقليم ، كما تعنى بإبراز الاختلاف الاقليمي في الوحدة المكانية موضع الدراسة .[١٣] ويمثل الاقليم (اللبنة الاساسية في الجغرافية الاقليمية) الحيز الذي تدور فيه وعليه فلسفة المكان بأبعادها المختلفة .[١٤]وبما انه اللبنة الاساسية في الجغرافية الاقليمية ، فقد تعددت تعريفات الاقليم بحسب الحاجة اليه ، وبحسب التخصص الذي تناوله . ومن هنا يرى فريمان ان لكلمة (اقليم) العشرات من التعاريف والمعاني التي تمتد الى ما وراء الجغرافية .[١٥] الا ان الاقليم بأبسط تعريفاته هو جزء من سطح الارض يتميز بشكل ما عن المناطق المحيطة به . [١٦] والحاجة لهذا الاقليم جاءت من امرين اساسيين ، الاول : ان الاقليم يمثل العنصر الاساس الذي يتكون منه المركب ، اي بدون الاقليم لم يكن للجغرافية الاقليمية ان ترى النور ، ولم يكن بالإمكان تعدد المناهج البحثية ما بين اقليمية وموضوعية . والثاني : تعدد العلوم والتخصصات التي تناولت الاقليم بحسب حاجتها . وبالتالي فان هذا الاقليم نُظر اليه من وجهتين ، الاولى ، موضوعية (Opjective) ترى في الاقليم غاية بحد ذاتها ، صيغة حقيقية ، كائن عضوي يمكن تشخيصه ورسمه ، والثانية ، لا موضوعية

---

[١٣]- محمد محمد سطيحة ، الجغرافية الاقليمية – دراسة لمناطق العالم الكبرى، ط١ ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ،١٩٧٤،ص١٨.

[١٤]- خالص حسني الاشعب ، اقليم المدينة بين التخطيط الاقليمي والتنمية الشاملة ، مطابع التعليم العالي ، بيت الحكمة ، جامعة بغداد ، ١٩٨٩،ص٢٠.

[١٥]- تي . و . فريمان ، الجغرافية في مئة عام ، ترجمة عبدالعزيز طريح شرف ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، بدون تاريخ ، ص١٢٩.

[١٦]- David Grigg, Regional , Models and Classes , Models in Geography , Second Published , London , 1987 , P. 463.

(Supjective) ترى ان الاقليم وسيلة الى الغاية ، اي فكرة او نموذج للمساعدة في دراسة العالم ، اي انها طريقة للتصنيف ، اداة لفصل سمات المناطق ، وهذه الوجهة هي المقبولة حالياً... فهي ترى ان الاقاليم هي ليست نتاج البحث الجغرافي ، اي ليست استنتاجاً ضرورياً من دراسات بحثية استهدفت الاقاليم بالدراسة على انها اشياء فردية مثل النبات والحيوان مثلاً ، وانما هي الاقاليم وضعت من قبل ما يمكن ان نسميه بالتفكير الفلسفي حول الجغرافية .[١٧]وهنا نجد ان لفظة اقليم قد استُعيض بها عن لفظة المكان والذي يمثل واحداً من ابرز محاور البحث الفلسفي سواء نظرنا اليه كوعاء انطولوجي لكافة الموضوعات او كصورة مثلية ذاتية للحدس بظواهر العالم الخارجي ، او كمجموعات من النقاط الرياضية المجردة ، او غير ذلك .[١٨] وبالتالي فان الاقليم له خصائصه ومميزاته وهو يكتسب هذه الخصائص من عدة عوامل جغرافية تعمل مجتمعة على تكوين الشخصية الاقليمية للمكان فتجعله يختلف عن سائر الامكنة ، او على الاقل تكون له صفات تميزه عن غيره من الاماكن ، ومن ثم كانت الاقليمية حصيلة عدد من العوامل الطبيعية والبشرية التي تتفاعل في المكان وينتج عن تفاعلها صورة خاصة لهذا المكان .[١٩] فكان ان سادت فكرة الاقليمية ، والتي هي حصيلة مراحل تطورية بدأت بالجغرافيين القدماء منذ ايام الاغريق وتقسيمهم للعالم الى اقاليم فلكية ، ومن تبعهم وهذا ما سيتم تناوله وتوضيحه. ومن ثم تبني الجغرافيون المحدثون فكرة الاقليمية ، بل جعلها البعض بمركز الصدارة بين فروع الجغرافية واصبحت الجغرافية الاقليمية تشغل من وقت دارسي الجغرافية اكثر ما يشغل اي فرع اخر و وكأن هذا الفرع في نظر القارئ العادي هي الجغرافية بمعنى الكلمة .[٢٠]

---

[١٧]- جون كلاسون ، مدخل الى التخطيط الاقليمي-المفاهيم النظرية والتطبيق ، ترجمة اميل جميل شمعان ، ط٢ ، مطبعة التعليم العالي ، بغداد، ١٩٧٨،ص٤٧-٤٨.

[١٨]- صلاح عثمان ، طبيعة الحدود بين الجغرافية والفلسفة ، بحث منشور على الانترنت ، ٢٠٠٥ ، ص١٥-١٦.

[١٩]- محمد عباس حسن العبيدي ، مناهج البحث العلمي عند العرب المسلمين في حقول الجغرافية الطبيعية ، اطروحة دكتوراه ، غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ٢٠٠١،ص١٣٤.

[٢٠]- المصدر نفسه ، ص١٣٤.

ثالثاً : فكرة الاقاليم :

ان فكرة تقسيم المعمور من سطح الارض الى اقاليم ترجع في اساسها الى الفلاسفة اليونانيين القدماء ، اذ احتضن كل من فيثاغورس وبارمينيدس في القرن السادس ق.م هذه الفكرة .[٢١]وكانت الحضارة اليونانية اول من استخدمت لفظة (كليما Klima)للدلالة على الاقليم .[٢٢] ونجد ان بارمينيدس اول من تبنى فكرة تقسيم الارض الى خمسة مناطق وان كانت غير واضحة المعالم .[٢٣]ثم تلاه كل من بوليبوس وبوسيدونيوس في تقسيم الجزء المعمور من الارض ، فقسمها بوليبوس الى (٦) اقاليم متناظره اثنان تحت الدوائر القطبية ، واثنان بين الدوائر القطبية وبين مداري الانقلاب ، واثنان بين هذين المدارين والمدار الاستوائي ، اما بوسيدونيوس فقد جعلها (٥) منها اثنان تحت القطبين ، واثنان يمتدان الى ما بعدهما حتى حدود سكنى الناس عند مداري الانقلاب ، ثم اقليم بين مداري الانقلاب .[٢٤]وبعد هؤلاء انتشرت فكرة الاقاليم ، فزاد بها البعض ونقص منها البعض الاخر . غير ان ما يهمنا هنا هو الاقاليم التي تبناها العرب المسلمون في كتاباتهم والتي اثمرت لنا فكرة الاقاليم الحالية (دوائر العرض) . وعلى الرغم من ان بعض الجغرافيين في وقتنا الحاضر، يرى انه لا يوجد ترابط بين الافكار التي سيتم تناولها (فكرة الكشورات وفكرة الاقاليم الفلكية وفكرة الاقاليم الاعتباطية) ، الا اننا نرى ان هناك ترابطاً وثيقاً بين الافكار وان كل منها قادت الى الاخرى ، حتى وان اختلفت فيما بينها في الاسس التي بنيت عليها او المجتمع الذي ظهرت فيه . فنحن نرى ان مجرد وجود فكرة قاد الى الفكرة الثانية او اللاحقة لها ، اي انها كانت الجذوة التي اوقدت منها النار . كما ان كل الافكار اتخذت من كلمة اقليم اساساً موحداً لها ، وهي في مجمل تطورها المكاني والزماني قادت الى ما يعرف اليوم

---

[٢١]- احمد سوسة ، الشريف الادريسي في الجغرافية العربية ، مصدر سابق ، ص٢٢٩.

[٢٢]- نداء نجم الدين احمد العبيدي ، دور الفكر الجغرافي العربي الاسلامي في تحديد مفهوم الجغرافية الاقليمية ، اطروحة دكتوراه ، غير منشورة، كلية التربية ، جامعة بغداد ، ١٩٩٧ ،ص٤٤.

[٢٣]- عبد الامير المؤمن ، الفلك والفضاء من الخرافات والتنجيم الى تلسكوب هابل ، ط١ ، الدار الثقافية للنشر ، القاهرة ، ٢٠٠٢ ، ص٥١.

[٢٤]- احمد سوسة ، الشريف الادريسي في الجغرافية العربية ، المصدر السابق ، ص٢٣٠.

بعلم الاقليم والجغرافية الاقليمية . كما انها ارست قواعد تحديد اي منطقة او بقعة من العالم بحدود ، سواء اكانت فلكية او جغرافية او الاثنين معاً .

رابعاً :الفكرة الاولى (فكرة الكشورات).

الكِشوَر والكُشخَر كلمة فارسية بمعنى القسم ، الا ان العرب استبدلتها بلفظ سرياني وهو الاقليم .[٢٥] وقد تبنى العرب هذا التقسيم الفارسي للعالم المعمور قبل ان يتبنوا التقسيم الفلكي . وتنص هذه الفكرة على تقسيم العالم المعمور الى (٧) دوائر ، بعد ان قسموا ايرانشهر الى ست دوائر . وقد أُختلف فيما اذا كانت هذه السبعة اقاليم متناظرة (اي سبعة شمال خط الاستواء وسبعة جنوبه) . وهذا ما قال به هُرمَس الحكيم .[٢٦] الا ان المقدسي يؤكد انها (١٤) اقليماً فيقول " اعلم ان كل من صنف في هذا الباب جعل الاقاليم اربعة عشر ، سبعة ظاهرة عامرة وسبعة خراباً ".[٢٧] الا انهم قد استقروا على انها سبعة اقاليم تمثل الجزء المعمور من الارض وهو يقع شمال خط الاستواء على اعتبار ان السبعة الباقية خراب كما يقول المقدسي اذ انها غير مسكونة لشدة الحر او البرد . وهذه الاقاليم السبعة او الكشورات عبارة عن سبع دوائر متماسة ، تحيط ست منها بواحدة مركزية ، فوضعت ايرانشهر او بابل في المنتصف وتمثل الدائرة الرابعة او الاقليم الرابع . شكل (١)

ومما يلاحظ على هذه الفكرة انها استخدمت الجهات الاصلية ، ولو انها رُسمت مقلوبة على عادة العرب بوضع الجنوب في الشمال . كما انها رُبطت بالبروج والطوالع ومكان تواجد القمر بحسب البرج او فلك البرج الذي يوجد فيه ، ونجد هذا مذيلاً في شرح كل اقليم

---

[٢٥]- ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، م١ ، ط٣ ، دار صادر ، بيروت ، ٢٠٠٧ ، ص٢٦.

[٢٦]- المصدر نفسه ، ص ٢٥.

[٢٧]- محمد بن احمد المقدسي ، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ليدن المحروسة ، ١٩٠٦، ص٥٨.

وهذه الاقاليم هي[٢٨]

ت	الاقليم	الاسم	التفاصيل
١	الاقليم الرابع	بابل	وهو في الوسط ويشمل العراق وفارس والجبل وخراسان وسجستان وزابلستان وطخارستان
٢	الاقليم الثاني	الحجاز	وهو الى الجنوب من الاقليم الرابع مباشرة ويشمل الحجاز والحبشة وعدن واليمن وبادية العرب والجزيرة
٣	الاقليم السادس	يأجوج ومأجوج	وهو الى الشمال من الاقليم الرابع مباشرة ويشمل الخزر والترك والغز وخرخير وكيماك والروس والصقالبة
٤	الاقليم الثالث	مصر	وهو الى الغرب من الاقليم الرابع ويشمل الشام ومصر الى اقصى المغرب والسودان الذين في البراري والبربر
٥	الاقليم الخامس	الروم	وهو الى الغرب الشمالي من الاقليم الرابع ويشمل الروم والاندلس وفرنجه وبرجان واذربيجان الى باب الابواب
٦	الاقليم الاول	الهند	وهو الى الشرق الجنوبي من الاقليم الرابع ويشمل الهند والسند والجزائر المنسوبة اليهم من الزايج والزنج
٧	الاقليم السابع	الصين	وهو الى الشرق من الاقليم الرابع ويشمل الصين والتبت والختن وبلاد ما وراء النهر والاتراك

[٢٨] - احمد سوسة ، الشريف الادريسي في الجغرافية العربية ، مصدر سابق ، ص٢٣٠.

شكل (١)
الكشورات كما وردت عند ياقوت الحموي

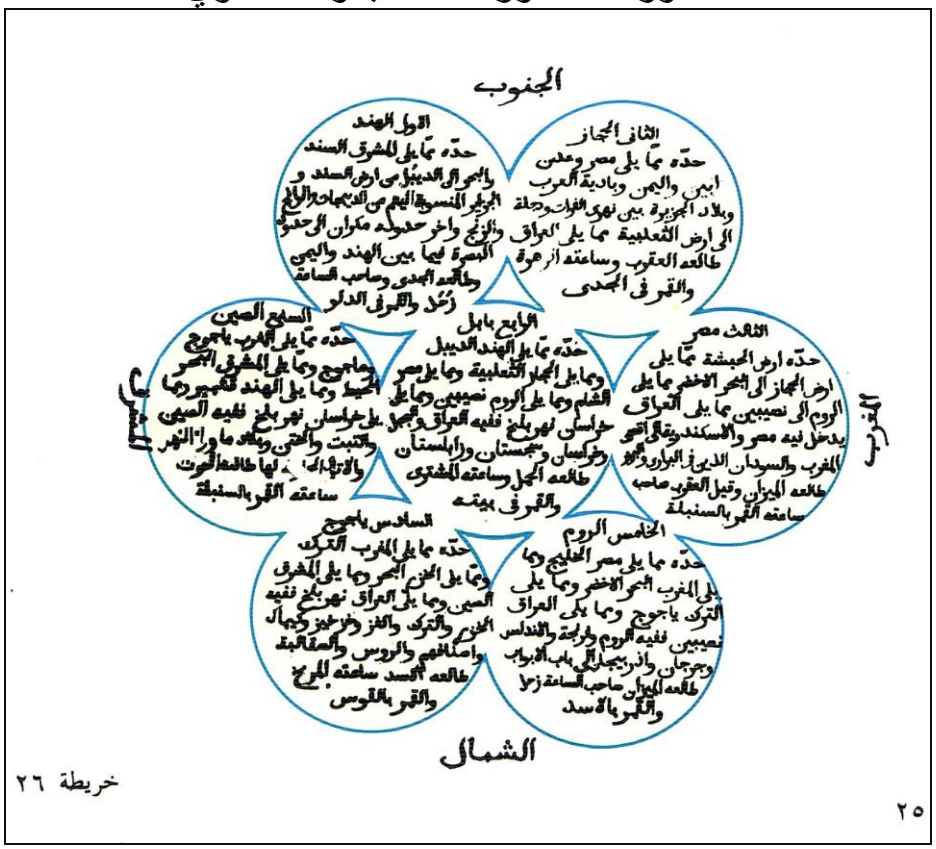

المصدر . حسين مؤنس ، اطلس تأريخ الاسلام ، الزهراء للإعلام العربي ، القاهرة ، ١٩٨٧، ص٢٣.

خامساً:الفكرة الثانية (الاقاليم الفلكية) .

اشرنا في الفقرة السابقة الى ان فكرة الاقاليم الفلكية كانت بدايتها على يد اليونانيين القدماء. وانهم قسموا المعمور الى اقاليم اختلفت في اعدادها بين عالم او فيلسوف و اخر. اما هنا فانا نقصد بها الاقاليم الفلكية التي وضعها الخوارزمي ، وتنص على تقسيم المعمور الى (٧) اقاليم على شكل احزمة مستطيلة مبتدئة من خط الاستواء تقريباً ومرتبة من الجنوب الى الشمال في موازاة خط الاستواء من المشرق الى المغرب .[٢٩] شكل (٢) ويرى كراتشكوفسكي ان الخوارزمي هنا قد ابدى جرأةً علمية

[٢٩]- احمد سوسة ، المصدر السابق ، ص٢٣٣.

واضحة في تقسيمه الجديد للأقاليم ، وهي جرأة اظهرت اصالة وابتكار في خارطاته.[٣٠] وقد اعتمد الخوارزمي

شكل (٢)

الاقاليم الفلكية عند الخوارزمي

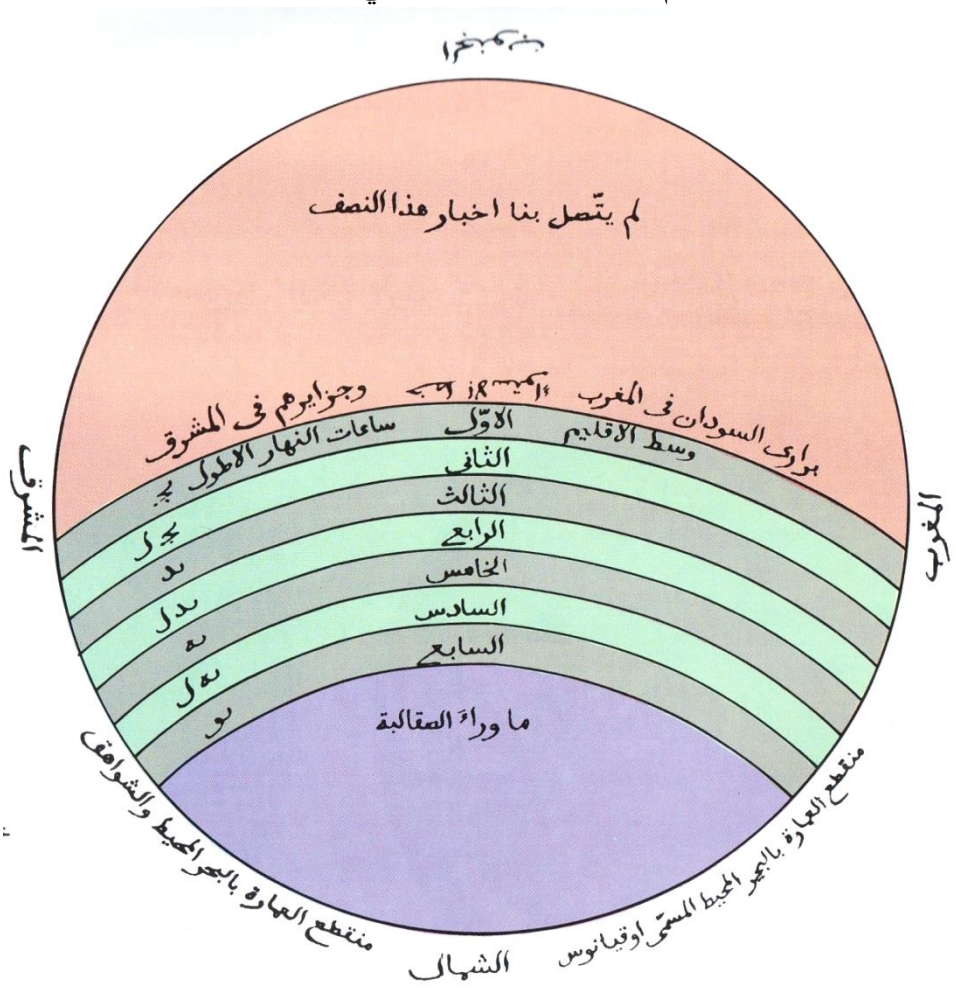

المصدر : حسين مؤنس ، اطلس تاريخ الاسلام ، ط١، الزهراء للإعلام العربي ، القاهرة ، ١٩٨٧، ص١٥.

في تقسيمه للأقاليم على درجات العرض وان ادى ذلك الى اختلاف عروض الاقاليم بسبب عدم الاتفاق على درجات العرض الفاصلة بين الاقليم والذي يليه .[٣١] اي اعتماد

٣٠- اغناطيوس يوليانوفتش كراتشكوفسكي ، تاريخ الادب الجغرافي العربي ، مصدر سابق ، ص١١١.

طول النهار صيفاً ، فيكون الفرق بين اقليم واخر نصف ساعة ، وكلما تقدمنا نحو الشمال زادت ساعات النهار.[٣٢]لقد كان اساس هذا التقسيم هو اساس علمي هندسي وفلكي اعطى الاصالة لهذا التقسيم والذي لازلنا لحد اليوم نعتمده في اساليبنا الجغرافية ، فنقول العروض الدنيا والعروض الوسطى والعروض العليا .[٣٣] وقد تم اعتماد خطوط الطول لتكون مكملة لهذا التقسيم ، فبواسطتها يمكن عمل شبكة من خطوط الطول ودوائر العرض ، يمكن من خلالها تحديد موقع اية مدينة . وقد جعل الخوارزمي خط طول (صفر) يمر بالساحل الافريقي الغربي ، في حين جعله بطيلموس يمر بجزر الخالدات ، وبهذا فان خط صفر الخوارزمي يقع الى الشرق من خط صفر بطيلموس ب (١٠) خطوط طول ، وهو اقرب الى خط الصفر (غرينتش) الحالي .

سادساً:الفكرة الثالثة (فكرة الاقاليم الاعتباطية)

سادت فكرة الخوارزمي او الاقاليم الفلكية ردحاً من الزمن ، فشملت القرن الثالث الهجري او ما يسمى بعصر الخوارزمي . ولكن مع نهايات القرن الثالث وبدايات القرن الرابع الهجريين ، ظهرت مجموعة من الجغرافيين الاسلاميين تبنت فكرة جديدة مغايرة لفكرة الاقاليم السباعية ، فكرة ولدت من رحم الابداع الجغرافي الذي مثله جغرافيون عظام امثال (الجيهاني والبلخي والاصطخري وابن حوقل والمقدسي) . هذه الفكرة التي اساسها تقسيم المعمور الى مساحات ارضية او رقع جغرافية دون الاخذ بنظر الاعتبار التقسيم الفلكي ، اي انها اقاليم اقيمت بحسب نظرة الجغرافي او رأيه الشخصي ، ولذلك اطلقنا عليها بالأقاليم الاعتباطية . اذ انها ليس لها اساس فلكي او هندسي ، وانما اقيمت بحسب ظواهر جغرافية معينه قد تكون طبيعية او

---

[٣١]- نداء نجم الدين احمد العبيدي ، دور الفكر الجغرافي العربي الاسلامي في تحديد مفهوم الجغرافية الاقليمية ، مصدر سابق ، ص٧٦.

[٣٢]- صالح فليح حسن الهيتي ، الخوارزمي وتطور علم الخرائط ، مجلة الجمعية الجغرافية العراقية ، ع٢١، مطبعة العاني بغداد ، ١٩٨٧،ص١٠٠.

[٣٣]- المصدر نفسه ، ص١٠٢.

بشرية ، اقاليم حسب المتعارف عليها بين الناس او بحسب الانتاج او بحسب اللغة او الدين ، مع الاخذ بنظر الاعتبار ان الهدف من هذا التقسيم كان التعرف على مملكة الاسلام وتوضيح ما فيها من ظواهر طبيعية وبشرية ، لتكون اقرب الى الفهم من قبل الكل خاص كان او عام .[٣٤] وهذا ما يؤكده المقدسي بقوله " اعلم ان مملكة الاسلام حرسها الله تعالى ليست بمستوية فيمكن ان توصف بتربيع او طول او عرض وانما هي متشعبة يعرف ذلك من تأمل مطلع الشمس ومغربها ودوّخ البلدان وعرف الممالك ومسح الاقاليم بالفراسخ وسنجتهد في تقريب الوصف وتصويره لذوي العقول والافهام ان شاء الله تعالى ".[٣٥] وقد اختلفت هذه الاقاليم في اعدادها بين جغرافي واخر . فقد جعلها البلخي (٢٠) اقليماً ، ورغم عدم وصول كتاب البلخي الينا الا اننا عرفنا ذلك من اشارة المقدسي بقوله " واما ابو زيد البلخي فانه قصد بكتابه الامثلة وصورة الارض بعدما قسمها على عشرين جزءاً ثم شرح كل مثال واختصر".[٣٦] وجعلها الاصطخري (٢٠) اقليما مشياً على خطى استاذه البلخي فيقول " ففصّلت بلاد الاسلام عشرين اقليماً وابتدأت بديار العرب ".[٣٧] اما ابن حوقل فقد جعلها (٢٢) اقليماً . في حين جعلها المقدسي (١٤) اقليماً فيقول " وقد قسمناها اربعة عشر اقليماً وافردنا اقاليم العجم عن اقاليم العرب ".[٣٨]. ومع اتخاذ الجغرافيون البلدانيين لهذا التقسيم ، الا انهم لم يكونوا جاهلين بالتقسيم السباعي ، فقد كانوا على دراية تامة به ، الا انهم ارادوا لأنفسهم طريقاً جديداً يكون اكثر وضوحاً وتفصيلاً ، يمكن من خلاله توضيح ماهية مملكة الاسلام وما تحويه . وهنا يشير ابن حوقل الى ذلك بقوله " ولم اقصد الاقاليم السبعة التي عليها قسمة الارض لان الصورة الهندية التي بالقواذيان وان كانت صحيحة فكثيرة التخليط وقد جعلت لكل قطعة افردتها تصويراً وشكلاً يحكي موضع ذلك الاقليم

٣٤- كمال عبدالله حسن الدليمي ، اصالة الجغرافية الاقليمية عند المقدسي ، اطروحة دكتوراه ، غير منشورة ، كلية التربية ، الجامعة المستنصرية ، ٢٠٠٦ ، ص ١٨٣.

٣٥- محمد بن احمد المقدسي ، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، مصدر سابق ، ص٦٢.

٣٦- المصدر نفسه ، ص٤.

٣٧- ابو اسحاق ابراهيم بن محمد الاصطخري ،مسالك الممالك ، مطبعة بريل ، ليدن ، ١٩٢٧، ص٣.

٣٨- محمد بن احمد المقدسي ، المصدر السابق ، ص٩.

".[٣٩] ويشير الى ذلك الاصطخري ايضاً بقوله " ولم اقصد الاقاليم السبعة التي عليها قسمة الارض بل جعلت كل قطعة افردتها مفردة مصورة تحكي موضع ذلك الاقليم ".[٤٠] وقد اوضحنا ما قاله المقدسي عن الاقاليم السبعة قبل قليل . ويمثل شكل (٣) نموذج لهذه الاقاليم .

سابعاً : الفكرة الرابعة (فكرة الادريسي) :

مع بلوغ الجغرافية العربية قمة نضوجها وازدهارها في القرن الرابع الهجري على يد مشاهير الجغرافية البلدانية العربية كالاصطخري وابن حوقل والمقدسي . فقد سادت افكارهم حول تقسيم العالم الاسلامي الى اقاليم تخالف التقسيم السباعي او الفلكي ، غير ان هذا لم يمنع بقاء فكرة التقسيم السباعي . ومع نهايات القرن الخامس الهجري وبدايات السادس الهجري ، ظهر عالم عربي من بلاد المغرب ليتبنى لنفسه فكرة جديدة ومنهجاً جديداً الا وهو الادريسي و الذي ولد عام (٤٩٣ هـ- ١٠٩٩م) .[٤١] وقد لخص الادريسي

الاقاليم الاعتباطية عند ابن حوقل

الاقاليم الاعتباطية عند

[٣٩]- ابو القاسم محمد بن علي ابن حوقل ، صورة الارض ، ط٢ ، مطبعة بريل ، ليدن ١٩٣٨، ص٢-٣.

[٤٠]- ابو اسحاق ابراهيم بن محمد الاصطخري ، المصدر السابق ، ص ٣.

[٤١]- صلاح ياركه ملك ، الفكر الجغرافي في كتاب نزهة المشتاق في اختراق الافاق للإدريسي ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة الموصل ، ١٩٩٠، ص ٢.

شكل (٣)

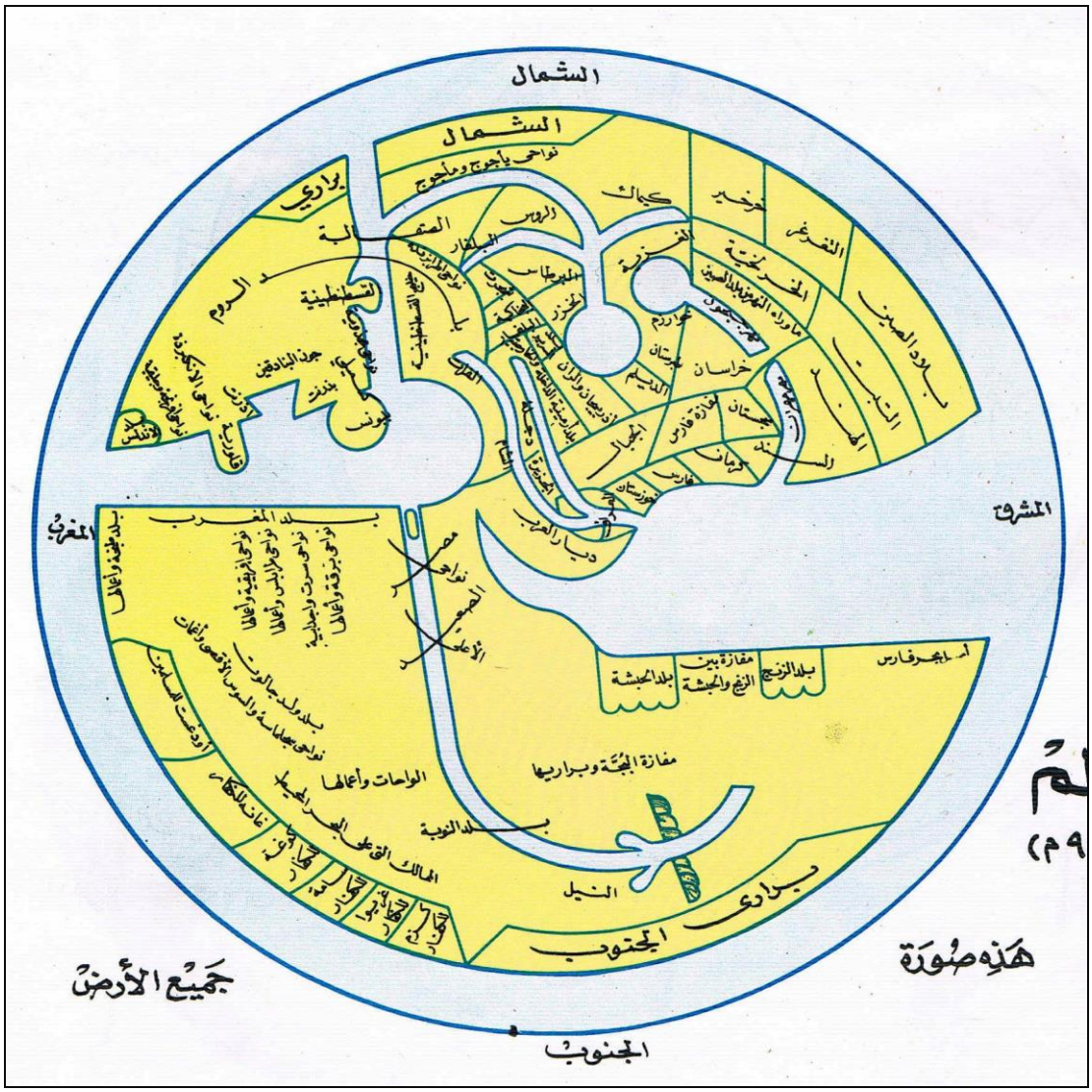

المصدر : حسين مؤنس ، اطلس تاريخ الاسلام ، ط١، الزهراء للإعلام العربي ، القاهرة ، ١٩٨٧، ص١٥.

منهجه هذا في كتابه نزهة المشتاق في اختراق الافاق ، والذي انتهى من تأليفه سنة (٥٤٨هـ – ١١٥٤م) .[٤٢]والذي يعد من اهم مؤلفات الادريسي . وتقوم فكرة الادريسي على مبدأ المزاوجة ، اذ انه زاوج ما بين المنهجين الفلكي السباعي والمنهج الاقليمي . فعمد الى تقسيم العالم المعمور الى سبعة اقاليم فلكية عرضية من المغرب الى المشرق ، مخالفاً المتبع وهو الابتداء من المشرق الى المغرب على عهد الخوارزمي . وهذه الاقاليم مبدأها من الجنوب من خط الاستواء بالاتجاه شمالاً نحو القطب ، فيقول " وهذا الربع المسكون من الارض قسمته العلماء سبعة اقاليم كل اقليم منها مار من المغرب الى المشرق على خط الاستواء وليست هذه الاقاليم بخطوط طبيعية لكنها خطوط وهمية محدودة موجودة بالعلم النجومي وفي كل اقليم منها عدة مدن وحصون وقرى وامم لا يشبه بعضهم بعضا وايضاً فأن في كل اقليم منها جبالاً شامخة ووهاداً متصلة وعيوناً وانهاراً جارية وبركاً راكدة ومعادن ونباتات وحيوانات مختلفة ".[٤٣] ومن ثم قام بتقسيم كل اقليم عرضي الى (١٠) اقسام من المغرب الى المشرق . فيقول " ولما اردنا رسم هذه المدن في الاقاليم ومسالكها وما تحتوي عليه اممها قسمنا طول كل اقليم منها على عشرة اقسام اجزاء مقدرة من الطول والعرض ورسمنا في كل واحد من هذه الاجزاء ما له من المدن والاكوار والعمارات ليرى الناظر في ذلك ما خفي عن عيانه ولم يبلغه علمه او لم يمكنه الوصول اليه ".[٤٤]فكان ان استقام للإدريسي (٧٠) اقليماً ، اذ يقول " ومبلغ اعداد هذه المصورات الاتية بعد هذا سبعون مصورة ".[٤٥] شكل (٤) و(٥) . فضلاً عن اقليمين او مصورتين تمثل نهاية العمارة في الجزء الشمالي واخرى تمثل نهاية العمارة في الجزء الجنوبي . وكلاهما خالية من السكن اما لشدة الحر او لشدة البرد . غير ان اتباع الادريسي لهذه الطريقة ادى الى تقطيع البلدان المتعارف عليها الى اجزاء . فكان كثيراً ما يضطر الى الحديث عن قسم من البلاد فقط باعتباره

---

[٤٢]- محمد بن محمد عبدالله الادريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الافاق ، م١ ، ط١، دار عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٨٩، ص٧.

[٤٣]- المصدر نفسه ، ص٩.

[٤٤]- المصدر نفسه ، ص١٣.

[٤٥]- المصدر نفسه ، ص١٣.

يقع ضمن جزء معين من احد الاقاليم السبعة و الاجزاء العشرة لكل اقليم عرضي ، مؤجلاً الحديث عن بقية البلاد الى ان يأتي دورها عند شرح الاجزاء الاخرى من الاقليم .

شكل (٥)

خريطة النيل كمثال على تقسيمات الادريسي

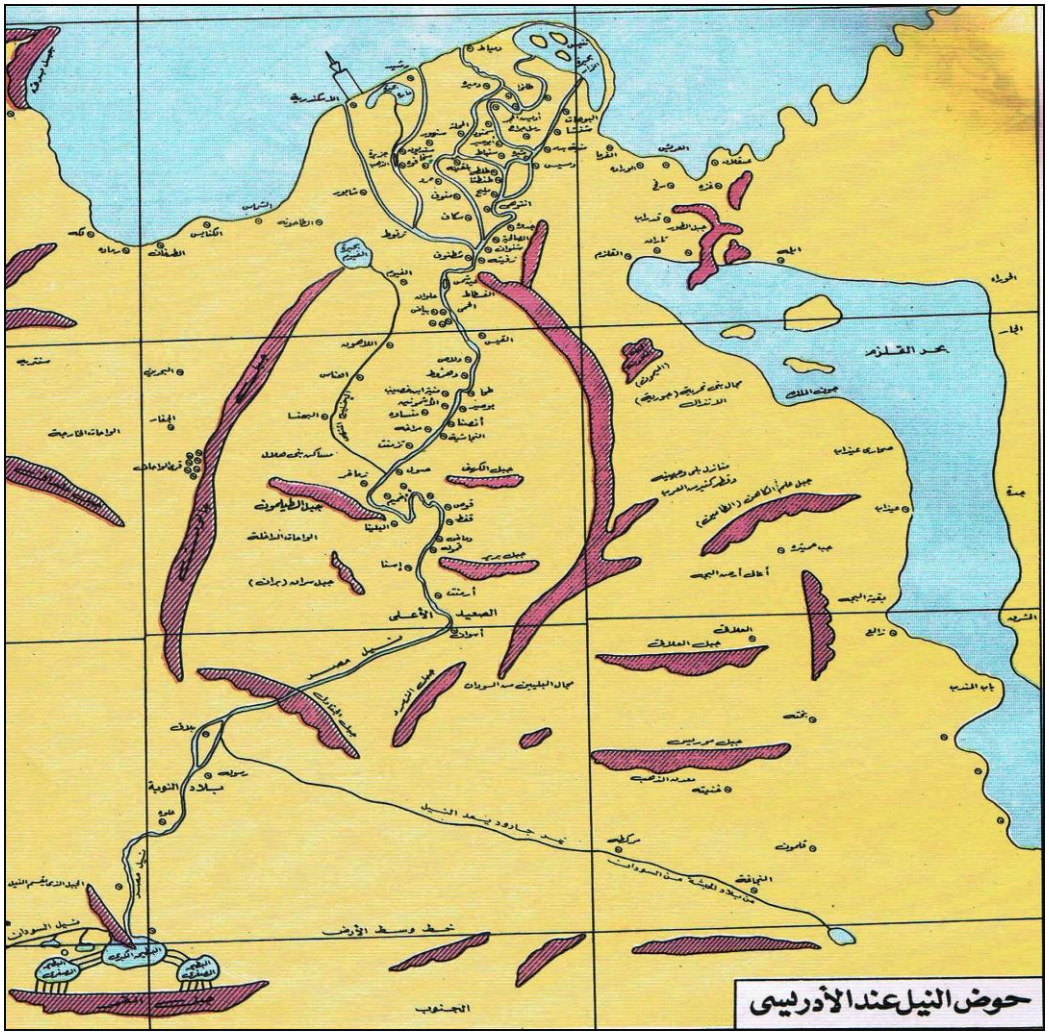

المصدر : حسين مؤنس ، اطلس تاريخ الاسلام ، ط١، الزهراء للإعلام العربي ، القاهرة ، ١٩٨٧، ص١٧.

ثامناً: الفكرة الخامسة (فكرة ابو الفداء)

ما ان وصلت شعلة المعرفة الى ابي الفداء ، وهو الملك المؤيد والعالم الجليل في نهاية القرن السادس الهجري وبداية القرن السابع الهجري حتى تلقفها بكل شغف وانكب على التعلم وزيادة المعرفة . فأخذ بعلوم الاولين وخاصة في حقل الجغرافية ، غير انه قد عز عليه ان يرى الخلط واللبس في الاقاليم وتوزيعها ، ما بين فلكية وعرفية . فكان ان تصدى لهذه المهمة بفكرة جديدة عملت على الدفع بفكرة الاقليم والاقليمية الى الامام . فعمل على التوحيد بين الاقاليم الفلكية والاقاليم الاعتباطية والتي اسماها بالعرفية . ونحن ندين لهذه الفكرة الى يومنا هذا في تحديد اماكن البلدان والاقطار ومواقع ومواضع المدن . فألف كتاب تقويم البلدان وفيه فرّق بين الاقاليم الفلكية (الحقيقة) والاقاليم الاعتباطية (العرفية). فيقول " والمراد بالإقليم الحقيقي احد الاقاليم السبعة المقدم ذكرها ، والعرفي كل ناحية او مملكة تشتمل على عدة كثيرة من الاماكن والبلاد مثل الشام والعراق وغيرها ، وقد يكون الاقليم العرفي بعضاً من الاقليم الحقيقي ، وقد يكون بعضاً من اقليمين مثل الشام ، فأن بعضه من الاقليم الثالث وبعضه من الرابع ، وقد يشتمل الاقليم العرفي على ابعاض الاقاليم السبعة كما يحكى عن الصين ، فأنه يقال ان عرضه اكثر من طوله ، وانه يشتمل على رؤوس الاقاليم الشرقية حتى يستوعب الاقاليم السبعة ".[٤٦] وهنا نجد التفاتةً جميلة وحنكة معرفية بأن يشير الى امكانية ان يكون الاقليم العرفي اكبر من الاقليم الحقيقي ، وهو ما معناه ان الاقليم العرفي قد يمتد على مساحة عظيمة فيمر به عدد من الاقاليم الحقيقة ، وهي ما تعرف اليوم بدوائر العرض بعد ان تم زيادة اعدادها لتصبح (١٨٠) دائرة عرض في الوقت الحالي . كما يُسجل له ذكر اقليم الصين كإقليم عرفي متكامل مع انه لم يذكر من قبل عند اي من الجغرافيين البلدانيين بهذه الصورة . اما بخصوص خطوط الطول فقد عمد ابو الفداء الى جعل خط الصفر يمر بالساحل الغربي للعالم الاسلامي كما فعل الخوارزمي من قبله، وبذلك فهو ينقص (١٠) درجات عن خط الصفر الذي كان معتمداً من قبل بطيلموس ومن مشى على رأيه والذي كان يمر بجزر الخالدات ، وهو هنا يقترب من خط الصفر الحالي (خط غرينتش) . وقد اضاف ابو الفداء اضافات جليلة فيما يخص

[٤٦]- عماد الدين اسماعيل ابو الفداء ، تقويم البلدان ، ط١ ، مكتبة الثقافة العربية ، القاهرة ، ٢٠٠٧، ص٧٨.

خطوط الطول ، ويتجلى ذلك في امرين الاول : اعتماده مبدأ التقريب ، اي ان المكان الذي لم يعرف له طولاً او عرضاً قرّبه الى اقرب مكان معلوم لديه فيقول " وينبغي ان تعلم ان بعض الاماكن لم يقع لنا طولها ولا عرضها ، وربما يقع لنا بعدها في الغرب او الشرق او الشمال او الجنوب عن اماكن معروفة العرض والطول واذا وقع لنا ذلك قربنا فيها ، واستخرجنا عرضها وطولها بالتقريب ".[٤٧]والامر الثاني : انه زاد في اعداد خطوط الطول ليمكنه ذلك من تحديد عدد اكبر من المواقع والمواضع . غير انه واجه مشكلةً في تحديد الاقاليم العرفية والسبب هو اختلاف اشكالها فيقول " اعلم ان الامر في تحديد الاقاليم العرفية لا يجري كما يجري في تحديد الدار او البستان ونحوهما ، لان غالب الدور والبساتين تكون قطعاً مربعة او متساوية الجوانب ، وليس الامر في الاقاليم العرفية كذلك ، فأن بعض جوانبها يكون مداخلاً لإقليم اخر وبعضها يكون فيه تقويس وبعض جوانبها اعرض من الجانب الاخر ، والذي يحدد المكان انما يحدده بالجهات الاربع: وهي الشرق والغرب والجنوب والشمال ، وذلك لا يصفو في الاقاليم العرفية لما ذكرناه ... وايضاً فأن بعض الاقاليم يكون على شكل مثلث كجزيرتي الاندلس وصقلية وبعضها يكون ذا خمسة اضلاع او اقل ، فيتعذر ذكر جهاته الاربع على الصحة ".[٤٨]اي ذكر جهاته الفلكية من دوائر عرض وخطوط طول . ولتجاوز هذه المشكلة عمد ابو الفداء الى اعتماد تحديد جديد وهو تحديد الموقع الجغرافي للإقليم بذكر ما يحيط او يحادد الاقليم من يابس او ماء من جهاته الاربع ، وهو ما يعرف اليوم بالموقع الجغرافي ، واشفع ذلك بسلاح الجغرافي في عمله وهو الخريطة ، فرسم خريطة للأقاليم العرفية يمكن من خلالها معرفة مكان كل اقليم عرفي من الاقليم الاخر فيقول " وقد وضعنا زائجة يُعلم بها موضع كل اقليم عرفي من الاخر وهي هذه " .[٤٩](*)وبهذا فأنه التزم منهجاً في كتابه يقوم على تحديد الاقليم العرفي

٤٧- المصدر نفسه ، ص٧٩.

٤٨- المصدر نفسه ، ص٨٠.

٤٩ - المصدر نفسه ، ص ٨١.

*) – لم يتمكن الباحث من العثور على كلمة زائجة في المعاجم العربية ، ولكنه عثر على كلمات مقاربة لها مثل (الزايجة والزابحة والزايرجة) وهي في اصولها ترجع الى كلمة الزيج ذات الاصل الفارسي ، وهي بمعنى جدول رقمي يعمل له شكل او دائرة تستخدم من قبل المنجمين . وربما حرفت او أُبدلت وهو امر شائع في

بذكر الجهات الاربع الاصلية وما يوجد فيها من اقاليم او مدن او بحار او انهار ، ومن ثم عمل جدول يوضح فيه اسماء المدن والاماكن الرئيسة في هذا الاقليم العرفي ثم يذكر العالم الذي اخذ منه المعلومة ، ثم يقوم بتحديد مكانها الفلكي بخطوط الطول ودوائر العرض ، ثم ذكر موقعها من الاقاليم الحقيقية وموضعها من الاقاليم العرفية ، ومن ثم ضبط الاسم لغوياً ، فذكر في كتابه (٦٢٣) بلداً او موضعاً . شك

شكل (٦)فكرة ابو الفداء عن الاقاليم

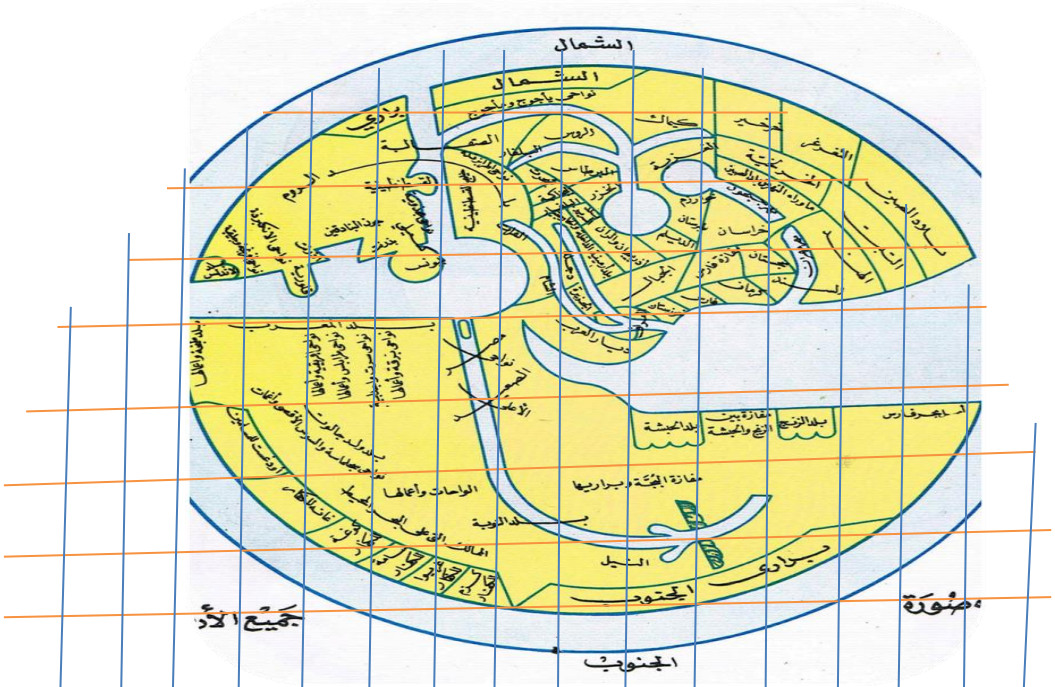

المصدر : عمل الباحث اعتماداً على صورة اقاليم الارض لابن حوق

المصادر :

اللغة العربية ، فيقول المستشرق رينهارت دوزي في كتابه تكملة المعاجم العربية " زايرجة وتجمع على زيارج واسمها زايرجة العالم اي صورة العالم "... وذكر ايضاً "علم الزايرجة فقال وزايرجة تحريف الكلمة الفارسية زايجة " . المصدر : رينهارت دوزي ، تكملة المعاجم العربية ، ج٥، ص٢٧٤.

١- ابن حوقل ، ابو القاسم محمد بن علي ، صورة الارض ، ط٢ ، مطبعة بريل ، ليدن ١٩٣٨.
٢- ابو الفداء ، عماد الدين اسماعيل، تقويم البلدان ، ط١ ، مكتبة الثقافة العربية ، القاهرة ، ٢٠٠٧.
٣- الادريسي ، محمد بن محمد عبدالله ، نزهة المشتاق في اختراق الافاق ، م١ ، ط١، دار عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٨٩.
٤- الاشعب ، خالص حسني ، اقليم المدينة بين التخطيط الاقليمي والتنمية الشاملة ، مطابع التعليم العالي ، بيت الحكمة ، جامعة بغداد ، ١٩٨٩.
٥- الاصطخري ، ابو اسحاق ابراهيم بن محمد ،مسالك الممالك ، مطبعة بريل ، ليدن ، ١٩٢٧.
٦- حربي ، خالد ، الجغرافيا في الحضارة الاسلامية الدور والتاريخ ، مجلة الرافد ، دائرة الثقافة والاعلام ، الشارقة . منشور على الانترنت .
٧- الحموي ، ياقوت ، معجم البلدان ، م١ ، ط٣ ، دار صادر ، بيروت ، ٢٠٠٧ .
٨- حميدة ، عبدالرحمن ، اعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من اثارهم ، ط٤، دار الفكر ، سوريا ، ١٩٩٥.
٩- خصباك ، شاكر ، كتابات مضيئة في التراث الجغرافي العربي ، ط١، مطبعة دار السلام ، بغداد ، ١٩٧٩.
١٠- خصباك ، شاكر، في الجغرافية العربية ، ط١، ساعدت جامعة بغداد على طبعه، بغداد ، ١٩٧٥.
١١- الدفاع ، علي عبدالله ، رواد علم الجغرافية في الحضارة العربية الاسلامية ، ط٢، مكتبة التوبة ، المملكة العربية السعودية ، ١٩٩٣.
١٢- الدليمي ، كمال عبدالله حسن، اصالة الجغرافية الاقليمية عند المقدسي ، اطروحة دكتوراه ، غير منشورة ، كلية التربية ، الجامعة المستنصرية ، ٢٠٠٦.
١٣- دوزي ، رينهارت ، تكملة المعاجم العربية ، ج٥
١٤- سطيحة ، محمد محمد ، الجغرافية الاقليمية – دراسة لمناطق العالم الكبرى، ط١ ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ،١٩٧٤.

١٥- سعيد ، ابراهيم احمد ودبس ، ممدوح شعبان ، تطور الفكر الجغرافي ، منشورات جامعة دمشق ، ٢٠١٠.

١٦- سوسة ، احمد ، الشريف الادريسي في الجغرافية العربية ، ج١، نقابة المهندسين العراقيين ، مكتبة صبري ، بغداد، ١٩٧٤.

١٧- العبيدي ، نداء نجم الدين احمد ، دور الفكر الجغرافي العربي الاسلامي في تحديد مفهوم الجغرافية الاقليمية ، اطروحة دكتوراه ، غير منشورة، كلية التربية ، جامعة بغداد ، ١٩٩٧.

١٨- العبيدي ، محمد عباس حسن ، مناهج البحث العلمي عند العرب المسلمين في حقول الجغرافية الطبيعية ، اطروحة دكتوراه ، غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ٢٠٠١.

١٩- عثمان ، صلاح ، طبيعة الحدود بين الجغرافية والفلسفة ، بحث منشور على الانترنت ، ٢٠٠٥.

٢٠- فريمان ، تي . و، الجغرافية في مئة عام ، ترجمة عبدالعزيز طريح شرف ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، بدون تاريخ.

٢١- كراتشكوفسكي ، اغناطيوس يوليانوفتش ، تاريخ الادب الجغرافي العربي ، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، ط٢، دار الغرب الاسلامي، لبنان، ١٩٨٧.

٢٢- كلاسون ، جون، مدخل الى التخطيط الاقليمي-المفاهيم النظرية والتطبيق ، ترجمة اميل جميل شمعان ، ط٢ ، مطبعة التعليم العالي ، بغداد، ١٩٧٨.

٢٣- المقدسي ، محمد بن احمد، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ليدن المحروسة ، ١٩٠٦.

٢٤- ملك ، صلاح ياركه ، الفكر الجغرافي في كتاب نزهة المشتاق في اختراق الافاق للإدريسي ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة الموصل ، ١٩٩٠.

٢٥- المؤمن ، عبد الامير ، الفلك والفضاء من الخرافات والتنجيم الى تلسكوب هابل ، ط١ ، الدار الثقافية للنشر ، القاهرة ، ٢٠٠٢.

٢٦- مؤنس ، حسين ، اطلس تأريخ الاسلام ، الزهراء للإعلام العربي ، القاهرة ، ١٩٨٧.

٢٧- هارتشورن ، ريتشارد ، طبيعة الجغرافية ، ترجمة شاكر خصباك ، ط١١، ج٢، مطابع جامعة الموصل ، ١٩٧٦.

٢٨- الهيتي ، صالح فليح حسن، الخوارزمي وتطور علم الخرائط ، مجلة الجمعية الجغرافية العراقية ، ع٢١، مطبعة العاني بغداد ، ١٩٨٧.

٢٩- R.E. Dickinson , Regional Concept , The Anglo-America Leaders ,Routledge and KeganPaul, London , ١٩٧٦,P.١٥١

٣٠- David Grigg, Regional , Models and Classes , Models in-Geography , Second Published , London , ١٩٨٧ , P. ٤٦٣.